

الحالة النفسية والتعبوية للجماهير الفلسطينية لم ترتفع من عمليات التنفيس والاستنزاف . وكذلك فإن حالة التلاحم بين الفصائل المقاتلة على هذه الساحة ، التي عاشت في بعض الفترات مراحل متقدمة وحتى متفائلة ، قد هبطت الى درجة مخيفة في السنتين الاخريتين ، ويكفي أن نسأل هنا عن قضية الوحدة الوطنية ، عن الجبهة الوطنية المتحدة ، الاداة الأساسية لانجاز أهداف هذه المرحلة بالذات ، لنجد في الرد ما يصفع توقعات حتى أشد المتفائلين . ومع أننا لا نريد أن ندخل في تفاصيل وطبيعة ما شهدته المقاومة الفلسطينية على الساحة اللبنانية وخاصة طيلة العام ١٩٧٥ ، دون أن نقلل بالطبع من دقة وقيمة الجهد الذي بذل للوصول الى ما وصلنا اليه من نتائج ، ولكن هل يمكن لاحدنا أن يقبل بعد التصديق بأن خروجها عن نهج التسوية سيجنب الثورة الفلسطينية حدة المؤامرات وتوالي الملاحقات ومحاولات التصفية والقمع ؟ وأكثر من ذلك فهل غير القتال والتصدي للمؤامرة والتلاحم مع الحركة الوطنية اللبنانية ، والتضحيات والبذل الصادق المشرف ، هل غير هذه العوامل جنبتنا محاولة الجرائم التصفية أو على الاقل تقليص الاضرار على الساحة اللبنانية ؟

هذه الصورة بكل ملامحها ، مضافا اليها التخبط المخيف خلال العامين المنصرمين ، بين اطروحات الاستسلام التي أطلقها خفافيش الظلام التي أتاح لها الجو السائد الخروج من جحورها . وبين الأطروحات التبريرية التي خلفت بلبلة فكرية متشابكة ، ليست كلها من نتاج نهج التسوية السياسية على الساحة الفلسطينية !

٢ - عند أية اجالة للنظر على الساحة العربية ، سريعة أيضا ودون التوغل بالتفاصيل ، نجد ان حالتها اشد تمزقا وضياعا من اي وقت مضى ، وتبرز اماننا اتفاقية سيناء ومرور البضائع الاسرائيلية عبر قناة السويس ، وصورة التجاذب المزيف في الحوار السياسي مع العدو الصهيوني من قبل بعض الجهات الرسمية العربية ، كما يظهر تحسن أسهم الامبريالية وزعيمتها الولايات المتحدة الامريكية في بعض الدول العربية ، سياسيا واقتصاديا . بالاضافة الى هذا كله ، ففي الوقت الذي يبرز فيه تماسك البرنامج الرجعي ، محليا في بعض الدول العربية وعامة على الصعيد العربي ، يعمري العلاقات بين الدول التقدمية التفكك والتسبب ، وتزداد صعوبة عملية ولادة الحركة العربية التقدمية جماهريا من جديد . ونسأل هنا أيضا ، ليست هذه الصورة من نتاج نهج التسوية السياسية على الصعيد العربي ؟

٣ - لقد حققت القضية الفلسطينية انتصارات غير مشكوك بها على الساحة الدولية ، وانتزعت مجموعة قرارات من المنظمة الدولية لا لبس في ايجابياتها على النضال الفلسطيني ، وستبقى هذه الانتصارات رصيذا غنيا جدا على طريق نضالنا الطويل . الا أن هذا كله يغلف افتراضا عالميا غير مشكوك فيه أيضا ، بأن ما حصل عليه الفلسطينيون من هذا التحول في المواقف الدولية ، يعزز « توجههم » لانهاء حالة النزاع مع اسرائيل بمعنى أن يحصلوا على « حقوقهم » وأن يقبلوا باسرائيل ، حقيقة قائمة بينهم ، ذات حدود آمنة ومعترف بها ، وذات علاقات مرشحة للتطور والتقدم لتصل الى علاقات حسن الجوار بكل ما تعنيه هذه من ابعاد . وكذلك فإن اسهام بعض الدول الغربية في تسهيل المهمة الفلسطينية على الصعيد الدولي بانتزاع المزيد من القرارات التي تدن الصهيونية وترفع العزل عن الفلسطينيين الذي كان مفروضا عليهم في مختلف المحافل والى امد طويل ، ان هذا الاسهام ينتظر أن يكون الشئ البرتجي منه ، أن يريح الفلسطينيين والعرب العالم ، من حالات الحرب والتوتر التي تقلق حياته واقتصاده وأمنه ، وتعرضه باستمرار لاحتمالات الحروب الاوسع والاكبر ، التي عانى منها مرتين بشكل حاد ، وعدة مرات جزئيا ، وكانت تعود دائما بالدمار عليه .